تجليات الأنا والآخر
في ثقافة الإنسان العربي المهاجر إلى أوروبا
مقاربة انثروبولوجية سيميائية ثقافية

الاستاذ الدكتور: سعيدي محمد
جامعة تلمسان
msaidi45@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 11-02-2018 / تاريخ القبول: 17-07-2018/ تاريخ النشر 15-09-2018

Abstract:

The present study explores the socio-cultural landscape of the Arab immigrant in Europe according to a number of dichotomies between the indigenous culture (i.e. the culture of the country of origin) and the culture of the Diaspora (i.e. the culture of the host country).

The Arab immigrant in Europe lives within both cultures under cultural and social dynamism which leads to a number of psychological, cultural, social, and even ideological constraints. The extent of these dichotomies is manifested through three stations which are in their turn an extension of three generations: the immigrant father, the immigrant son, and the immigrant grandson.

Key words: culture- identity- belonging- immigration- immigrant

الملخص:

الدراسة هي قراءة للمشهد الثقافي والاجتماعي للإنسان العربي المهاجر في أوروبا وفق عدد من الثنائيات والتي تتموقع في شموليتها بين الثقافة الأصلية أي ثقافة البلد الأصلي وثقافة المهجر أي ثقافة البلد المعاش فيه. يعيش الإنسان العربي المهاجر في أوروبا بين الثقافتين من حيث الفاعلية الثقافية أولا والفاعلية الاجتماعية ثانيا، الأمر الذي يخلق لديه عددا من الصراعات النفسية والثقافية والاجتماعية وحتى العقائدية، فهو في محطة التلاقي تارة والتناقض ت والصراع تارة أحرى، هذا من جهة ،ومن جهة أخرى، فان حدة هذه الثنائيات تتجلى عبر ثلاث محطات والتي هي أصلا امتداد لثلاث أجيال :المهاجر الأب ثم المهاجر الابن ثم المهاجر الحفيد.

الكلمات المفتاحية: الثقافة_ الهوية_ الانتماء_ الهجرة_ ا لمهاجر

المقدمة:

شكلت ظاهرة الهجرة العربية إلى أوروبا مادة خصبة لدراسات[1] عديدة متنوعة من حيث الطرح الموضوعاتي والمعرفي والمنهجي. لقد اهتم بها علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الاقتصاد والسياسة والتاريخ والألسنيون ، كما شكلت أيضا مادة خصبة استلهم منها الأدباء والفنانون عددا لا يحصى من الأعمال الأدبية[2] من روايات ومسرحيات وقصص وقصائد شعرية وأغاني ولوحات زيتية، لقد شغلت الهجرة المخيال المعرفي العربي، بل امتدت آثارها المادية والمعنوية والسلوكية ضاغطة على المنظومة الثقافية والاجتماعية الشعبية والتي عاشتها وعايشتها بكل مرارتها وبكل جروحها وآلامها، فالهجرة في أبسط معانيها هي سفر اضطراري يقوم به الفرد متنقلا من فضاءه الخاص نحو فضاء جديد تحت الضغط المالي باحثا عن سبل مادية ومعنوية لتلبية رغباته المعاشية والتي أصبحت في موطنه الأصلي صعبة أو مستحيلة ، فهو يسافر من أجل تحقيق رغبة أو كما يقول السيميائيون[3] فهو ينتقل من فضاءه الخاص والشخصي نحو فضاء غريب وأجنبي محمل بمشروع ينوي إنجازه وتحقيقه، وأن المشروع قد يكون مفردا و شخصيا كما قد يكون جماعة جماعيا في الآن الواحد، فالمهاجر الذي هو في العرف المعرفي السيميائي فاعل الذات يسعى إلى تحقيق الرغبة والتي هي فاعل الموضوع متعدد الأبعاد، حيث قد تكون رغبة مادية مالية، أو رغبة نفسية أو رغبة سياسية أو رغبة عقائدية .

فالمهاجر "فاعل الذات" يودع فضاءه الأصلي متجها نحو الفضاء الآخر سواء للعمل وجمع المال وتحسين ظروفه وظروف عائلته أو قد يسافر تحت ضغوطات نفسية، فيبحث عن فضاء جديد يضمن لها الراحة النفسية وإشباع حاجات نفسية، أو قد يسافر تحت ضغوطات سياسية حيث أنه يعاني معاناة سياسية في وطنه الأصلي, فيقرر البحث عن مكان آخر يضمن له حرية التعبير وحرية الممارسة السياسية وكرامة النفس في جو ومناخ ديمقراطي . أو قد يسافر من وطنه نحو وطن آخر تحت وقع وإيقاع العقيدة الدينية سواء هاربا من عقيدة في وطنه قد لا يقدر على مسايرتها أو باحثا عن عقيدة افتقدها في وطنه الأصلي.

ومهما يكن من أمر ، فإن الهجرة وإن تعددت أسبابها وأهدافها فهي واحدة من حيث البناء المورفولوجي الفاعلي، فهي إعلان عن تنقل جسدي للفرد من مكانه الأصلي نحو مكان آخر من أجل

تحقيق رغبة ما، وقد تتفاعل مجموعة من العناصر تفاعلا عضويا مع فاعل الذات من حيث المساعدة أو المعاكسة من أجل تحقيق رغبته، وقد يتجلى هذا المشهد من خلال الرسم الفاعلي[4] التالي:

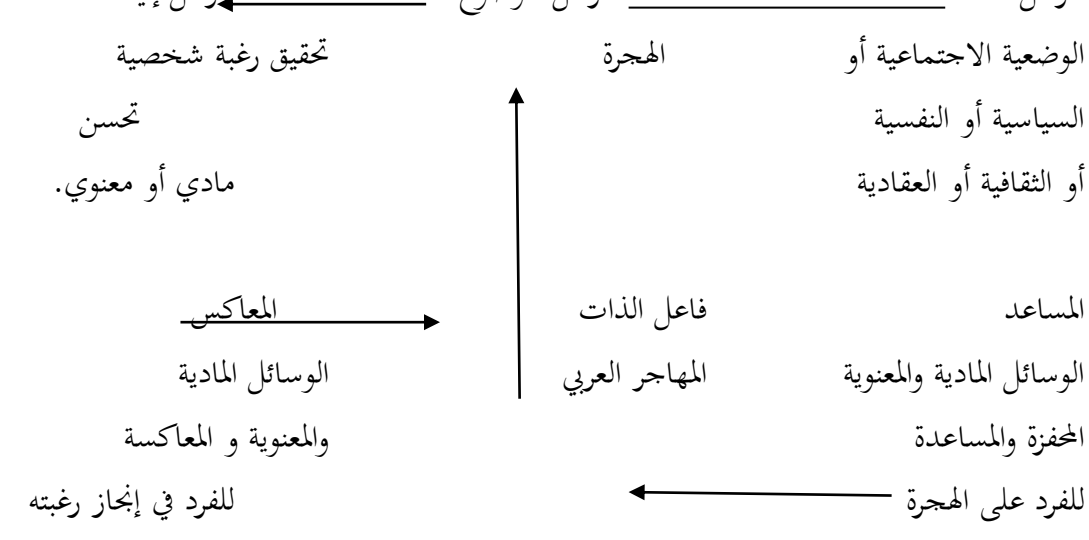

العرض والتحليل :

وبعد هذه المقدمة والتي أردناها كذلك تحضيرا للأرضية الموضوعاتية والمعرفية والمنهجية لدراسة جدلية المشهد الثقافي للمهاجر العربي نحو أوروبا بين الخفاء و التجلي, وذلك وفق أطر سيميائية ثقافية، نحاول أولا وقبل كل شيء تحديد مفهوم الثقافة ومظاهرها المادية والمعنوية والسلوكية لأنها هي العمود الفقري لهذه الجدلية .

لقد تبنينا المفهوم الذي وضعه العلامة تايلور للثقافة حين يعرفها قائلا : الثقافة هي ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن و الأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في المجتمع[5] .

إن مساءلة المشهد الثقافي للإنسان العربي المهاجر إلى أوروبا يفرض علينا اعتبار هذا الفرد إضافة إلى كونه ذاتا بيولوجية وجسدية تسافر من وطنها الأصلي إلى وطن آخر، فهو أيضا نص ثقافي ومنظومة ثقافية تسافر من فضاءها الأصلي لتعانق نصا ثقافيا ومنظومة ثقافية أخرى.

فالإنسان العربي ولد وتربى وترعرع في فضاء ثقافي عربي، تفاعلت في تأسيسه وتكوينه مجموعة من المظاهر تفاعلا عضويا أكسبته هوية الانتماء والقدرة على الدفاع وصيانة ذاته ومحيطه المادي والمعنوي والسلوكي، فلقد شكلت اللغة والدين والثقافة والعادات والتقاليد والمعتقدات والخرافات والفنون والحرف وكل الممارسات المرتبطة بمعاشه المادة الخصبة للتفاعل الذي ضمن له هوية الانتماء وعنوان شخصيته الوطنية أو القومية .

فالإنسان العربي المهاجر هو نص ومنظومة ثقافية تسافر وتتحرك نحو المكان الثقافي الآخر والزمن الثقافي الآخر والإطار الجغرافي الثقافي الآخر المختلف شكلا ومضمونا, فيجد نفسه مضطرا للحوار أو الصدام وذلك من أجل اقتحام وضمان لنفسه الدخول والاستقرار والبقاء هناك من أجل تحقيق الرغبة التي قرر من أجلها الهجرة.

إن الاختراق لم يكن سهلا وبسيطا وهادئا، وفي كثير من الأحيان يكون هذا الاختراق صاخبا وعنيفا قد يزلزل ذات المهاجر الذي قد لا يتحمل وذلك ليضيق مساحته الثقافية والباطنية التي تكونت في بلده الأصلي وامتلأت بعناصر ثقافية أصلية, واحتلت المكان الباطني ورسمت جغرافية مخياله الثقافي والسلوك والاجتماعي، ومن ثم قد يكون من صعوبة بمكان أن تجد العناصر الثقافية الأجنبية مكانا خاصا بها وفي كيانه الداخلي والباطني، وهذا ما قد يؤدي بالفرد العربي المهاجر بطريقة شعورية أو لا شعورية إلى التخلي عن بعض العناصر والمظاهر من ثقافته الأصلية أو التنكر لها أو حتى محاربتها وطردها من فضاءه الخاص والجديد وذلك تحت ضغط العناصر الثقافية الجديدة التي فرضها الفضاء الجديد .

يمارس المهاجر العربي حوارا داخليا بينه و بين ذاته الثقافية وذلك لكي يقصى من مخياله الثقافي والاجتماعي والعقائدي بعض من عناصر ومظاهر ثقافته الأصلية وذلك بتبريرات مختلفة .

قد يتخلى عن بعض السلوكيات, وفي اعتقاده أنها لم تعد مناسبة للزمن الثقافي الجديد، أو أن ممارستها تتطلب أطر ثقافية واجتماعية وسياسية وعقائدية غير متوفرة في المكان الثقافي الجديد. وبالتالي إن التمسك بها وممارستها قد يعرقل تحقيق وإنجاز مشروعه الذي هاجر من أجله.

وسواء أكانت عملية إقصاء ورفض وتنكر وثورة على بعض العناصر والمظاهر التي حملها معه من ثقافته الخاصة والأصلية، سواء أكانت هذه العملية شعورية أو لا شعورية، فهي وليدة مخاض عسير

وصعب، قد يرمي بكل ثقله على المخيال المعرفي والنفسي والاجتماعي والعقائدي للمهاجر العربي الذي تنشطر ذاته إلى قسمين اثنين:

أنا الأنا # أنا الآخر

أي الأنا في صورتها الأولى و الأصلية من حيث البنية الثقافية والاجتماعية والنفسية والعقائدية .

وأنا الآخر، في صورتها الممكن تحقيقها من خلال ذلك المخاض المتمثل في إزالة بعض المظاهر الأصلية والعمل على تعويضها بعناصر ومظاهر من ثقافة الآخر, الأمر الذي يجعل الذات المهاجرة تعيش اللحظتين المختلفتين في الآن نفسه بهويتين ثقافيتين :

ثقافة الوجود وثقافة المظهر ، وقد تشكلت الثقافتان وفق عدد من الإجراءات المادية والمعنوية والسلوكية والمتمثلة في منطق المعرفة والرغبة والقدرة على الفعل الثقافي وما يحدثه في بناء شخصية المهاجر من حيث الفعل والوجود :

معرفة الفعل الثقافي ⟵ معرفة الوجود الثقافي

رغبة الفعل الثقافي ⟵ رغبة الوجود الثقافي

قدرة الفعل الثقافي ⟵ قدرة الوجود الثقافي

يعيش المهاجر بين هذه المحطات: فهو فعل فعل ثقافيfaire faire culturel و فعل وجود ثقافي faire être culturel أصيل وأصلي من حيث الفعل و من حيث الوجود, فهو يتحرك من اجل أن يظهر بفعل ثقافي وفي وجود ثقافي آخر حتى يضمن لنفسه سلامة وتأشيرة اقتحام فضاء الآخر وثقافته, ومن ثم فهو مرشح لمواجهات عدد من المحطات:

ولعل أهمها المعرفة الثقافية من حيث الفعل والوجود le savoir faire، apprendre)فالمعرفة العلمية هي الجزء الكبير الذي يحرك بطريقة شعورية أو لا شعورية المساحة المختفية للثقافة، فالفرد يتعلم ثقافة تعلما علميا سواء من خلال مرحلته التعليمية أو من خلال ما اكتسبه من محيطه من أشياء علمية ذات الصلة بالجانب الفكري الذي ينظم معاشه، وقد يتعلق الأمر بثقافته الأصلية ، ولكن كيف هو حال المعرفة الثقافية بالنسبة للثقافة الأجنبية ، ثقافة الآخر، والتي يبقى مرشحا ومطالبا بتعلمها وممارستها.

وقد يحس المهاجر في هذا الجانب بفراغ كبير ، وهو الأمر الذي يمنعه من اكتساب المعرفة الثقافية إن هو لم يكن مؤهلا للتعلم .

وقد يعيش عجزا آخرا، إن لم يكن راغبا في تعلم (vouloir faire (apprendre بعض المظاهر الثقافية وذلك لأسباب نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو عقائدية ، وأمام غياب رغبة التعلم الثقافي تبقى شخصية المهاجر تعيش واقعا نفسيا مضطربا وقلقا، فهو لا يرغب في شيء قد يكون مفروضا عليه.

كما أنه قد يعيش عجزا آخرا ، إن لم يكن قادرا(pouvoir faire(apprendre على تعلم بعض السلوكيات الثقافية وذلك لأسباب مختلفة ، فعلى الرغم من أنه يريد ويرغب التعلم وتبني هذه الثقافة ، إلا أنه يفتقد القدرة من أجل ذلك .

إن معرفة الفعل الثقافي و الرغبة في الفعل الثقافي والقدرة على الفعل الثقافي مرتبطة بالكيان والوجود الثقافي في حالاته الثلاثة أي معرفة الوجود الثقافي savoir êtreوالرغبة في الوجود الثقافي vouloir être والقدرة على الوجود الثقافيpouvoir être في المحيط الثقافي الجديد ، أي المحيط الثقافي الآخر والذي قد يشكل جزءا أساسيا وثابتا في بناء شخصية المهاجر من حيث الممارسات الثقافية المزدوجة وأحيانا المتناقضة .

فهو يعيش متمسكا بثقافته الأصلية من حيث الفعل و الوجود، ويسعى إلى العيش متبنيا ثقافة الآخر ليضمن لنفسه شرعية الفعل والوجود الجديدين.

وتتجلى هذه الثنائية من خلال عدد من المحطات الثقافية والاجتماعية والسلوكية التي يعيشها الإنسان العربي في ديار المهجر ,حيث أنه في داخل داره وفي منزله ومع أفراد عائلته يريد أن يكون عربيا، و أيضا ,في الخارج مع العرب أمثاله أي في الشارع وفي المعمل ومع زملائه وأصدقائه وجيرانه يريد أن يبقى عربيا بطبيعة الحال معهم, و في أحضانهم إن هم كانوا مثله متمسكين بعروبتهم و يريدون أن يحافظوا على هويتهم في ديار الغربة و المهجر," فيجتمع معهم و يكون معهم أيضا مجمعا خاصا متميزا بالطابع العربي,ففيه تنتشر المقاهي العربية و تتناثر في أرجائه المحال و المطاعم العربية و يحتل المسجد مكان الوسط في ذلك الحي ,و يدهش من يتجول في طرقاته عندما يسمع الناس يتحدثون باللغة العربية و

عندما يتمتع سمعه بأنغام الموسيقى و الغناء العربي و هي ترتفع من المقاهي و المطاعم."6"وقد يكون عكس ذلك, أي يتحول إلى إنسان غربي الثقافة, و يصبح غربيا إن هو التقى بالغربيين و أعلن انتماءه إليهم وسكن بجوارهم، وبين الكينونتين يتحرك المهاجر كذات مزدوجة الثقافة والسلوك، فهو إن كتب له أن يحتفل فحقل الاحتفالية لديه غني ومتعدد، فيحتفل بأعياده الخاصة والأصلية في داره ومع أفراد عائلته كالاحتفال بالأعياد الدينية الرسمية وغير الرسمية من عيد الفطر, وعيد الأضحى, والمولد النبوي، وعاشوراء, وغير ذلك من الأعياد. ويقيم طقوسه وفق أسس ثقافية واجتماعية وعقائدية أصلية تربى في رحابها منذ طفولته ونشأته في بلده الأصلي ... كما يحتفل بأعياد أخرى خاصة بالبلد المضيف وبشعبه وثقافته مثل عيد رأس السنة الميلادية وغيره وذلك وفق أسس ثقافية واجتماعية خاصة مستمدة أصلا من عادات وتقاليد ومعتقدات الكيان الاحتفالي الآخر...

كما تتجلى أيضا هذه الثنائية في اللباس والطبخ وكيفية تأثيث المنزل وحتى في نظام العلاقات مع الجيران وفي تربية الأطفال وفي نمط الزيارات العائلية للأقارب والأصدقاء ، فقد يزور في بلد المهجر قريبا له كما قد يزور صديقا أو زميلا أو جارا له ,فتختلف الزيارات من حيث المدة و الزمن والهدية وطبيعة الكلام و الحديث أثناء الزيارة ,فهو لا يزور قريبا عربيا وفق نفس النظام الثقافي و الاجتماعي والسلوكي الذي يزور به صديقه أو جاره الأجنبي، فهو يسعى إلى تبني ثقافة تتماشى وثقافة المزار سواء أكان قريبا عربيا أو غريبا أجنبيا :

المظهر	زيارة القريب	#	زيارة الغريب
المدة	غير محددة		جد محددة
زمن الزيارة وعناصرها	مفتوح لكل أعضاء العائلة		محدد بدون أطفال
الهدية	غير محددة حسب طاقة الزائر		محددة : باقة من الزهور في أغلب الحالات

وقد تذكرنا هذه الظاهرة بالنمط ألمعاشي للجالية اللبنانية في الولايات المتحدة والتي درسها الدكتور عاطف وصفي متحدثا عن موضوع الزيارات عند هؤلاء اللبنانيين حيث يقول"إن تبادل الزيارات في المحيط العائلة الكبيرة, و قد حدث في السنوات القليلة الماضية أن تجاوزت الزيارات إطار القرابة,فكثيرا ما تتزاور عائلات

عربية لا تربطها علاقة القرابة. و يلعب الجوار في السكن دورا هاما في بث روح الصداقة و التعاون بين الجيران,أما الزيارات بين عائلات المهاجرين العرب و العائلات الأمريكية فهي قليلة جدا وتكاد تنعدم و يسبق الزيارة اتفاق على موعدها.ولاحظت ندرة الزيارات التلقائية أي التي لا يسبقها موعد,و لا شك أن المهاجرين العرب قد تأثروا بالبيئة الأمريكية في هذه الناحية."7"و في هذا الصدد ,قد يعيش المهاجر النمطين الثقافيين في اللحظة الواحدة ,ويسعى جاهدا إلى المحافظة عليهما, وإن كان من حين إلى آخر بطريقة شعورية أولا شعورية يميل إلى تفعيل النمط المظهري الغربي في النهار, أي في زمن النشاط العملي وزمن العلاقات مع الآخر وفي الفضاء الخارجي, ليعود في الليل متمسكا بالنمط الوجودي أي في الزمن العائلي وزمن العلاقات العائلية وفي الفضاء الداخلي .و من هذا المنطلق تتجلى في المسيرة الثقافية و الاجتماعية و النفسية للإنسان العربي المهاجر الأنماط الثقافية الأربعة سواء من حيث التكامل أو من حيث الاختلاف وهي:

1_التكيف الثقافي

2_الازدواج الثقافي

3_الانصهار الثقافي

4_ الصراع الثقافي

ومن هنا نلاحظ أن الإنسان العربي المهاجر يعيش اللحظات الثقافية المختلفة بل أحيانا المتناقضة. فتتشكل هويته الجديدة الممكنة من حيث التفاعل الثقافي الشمولي وفق ثنائيتين كبيرتين:

وقد تظهر الثنائيتان من حيث الفعل والوجود من خلال المربع السيميائي التالي:

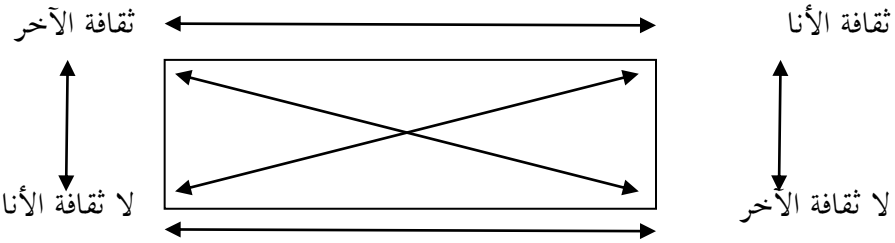

وقد نسمح لأنفسنا بترجمة هذه الأقطاب المتفاعلة وفق مصطلحات وأقطاب ثقافية وحضارية واجتماعية أعم وأشمل من حيث فاعلية الانتماء والمستمدة مادتها ومعطياتها من كيانات حضارية متصارعة

ومتناقضة في كثير من محطاتها التاريخية وهي: ثقافة الشرق orient وثقافة الغربoccident ، حيث تعطينا المربع السيميائي التالي:

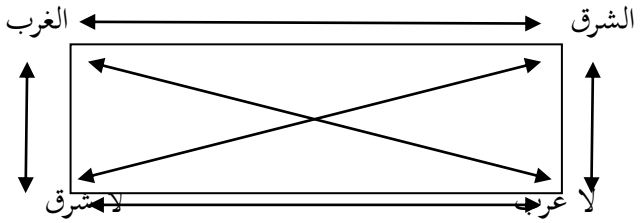

وقبل بداية مناقشة تجليات مظاهر الثقافة الشرقية ومظاهر الثقافة الغربية عند الإنسان العربي المهاجر, وما قد تحدثه من علاقات تضادية ومتناقضة أحيانا أو تكاملية أحيانا أخرى, لا بد من القول أن " ثنائية الشرق و الغرب مسألة قديمة جديدة تستمد وجودها وتجددها من جدلية العلاقة بين العرب والغرب منذ مدة طويلة"[8]."

إن المشهد الثقافي والاجتماعي للإنسان العربي المهاجر يترجم اضطرابا كبيرا ، قد يصل إلى نوع من الصدام الداخلي .وبالتالي قد يجد الإنسان العربي المهاجر نفسه في وضعيات مختلفة :

-التمسك المطلق بالأنا و رفض الآخر.

-الثورة على الأنا وتبني الآخر .

_المزج بين الأنا و الآخر .

_ذوبان الأنا في الأخر بصورة هادئة.

وقد يذكرنا هذا الموقف بقول أ.د. سالم المعوش في دراسته لنص رواية " الإقلاع عكس الزمن" للكاتبة اللبنانية إميلي نصر الله حيث يقول:" في هذه الرواية ، نجد نوعا من الاضطراب في عرضها... حينا نرى الغرب يمتص كليا العرب ويغيبهم في مجتمعاته كما نرى مظاهر حضارته المتدفقة والغياب الكلي لمظاهر الحضارة العربية وشهود اضمحلالها في نفوس أبنائها ولبوسهم لباس الحضارة الغربية.. وحينا آخر نرى صوت الوطن (...) تتراجع أصداؤه على شكل حنين وشوق ولهفة على أيامه التي تبدو على شكل ذكريات باهتة غير واضحة، معبر عنها بأسلوب مغرق في الوجدانية الخاصة"[9]

وقد يعيش الإنسان العربي المهاجر حالات الصدام أحيانا وحالات الذوبان أحيانا أخرى وحالات ثالثا يريدها حوارا ثقافيا مازجا فيها المظاهر الثقافية المختلفة الشرقية والغربية.

إن ثقافة الأنا هي أصلا ثقافة الشرق بالمقابل إلى ثقافة الآخر والتي هي ثقافة الغرب، فالقطبان متضادان ، فهي علاقة تضادية .وبالتالي فإن فاعل الذات والمتمثل في شخصية الإنسان العربي المهاجر ، لا يمكن له إلا أن يكون إما حاملا لثقافة الشرق أي ثقافته الأصلية ولا يمكن أن يكون حاملا لثقافة الغرب أي الثقافة الغربية عنه، فهو يتموقع ثقافيا وسلوكيا في الطرف المضاد للآخر .

أما المحور الثاني : ثقافة الشرق و ثقافة لا شرق.

أي ثقافة الأنا و لا ثقافة الأنا، فهما قطبان متناقضان فالأمر نفسه بالنسبة للمحور الثالث : ثقافة الغرب وثقافة لا غرب أي ثقافة الأخر ولا ثقافة الأخر، فهما قطبان متناقضان . أما المحور الرابع ثقافة الشرق و ثقافة لا غرب أي ثقافة الأنا و ثقافة لا أنا، فهما قطبان تكامليان وبالتالي فالعلاقة بينهما هي علاقة تضمينية تكاملية ، و الأمر نفسه بالنسبة لثقافة الغرب و ثقافة لا شرق، فهما قطبان تكامليان وبالتالي فالعلاقة بينهما هي علاقة تضمنية تكاملية.

وقد تظهر هذه المواقف السلوكية من خلال رصد ما يقوم به وما يقوله الإنسان العربي المهاجر وما يقوم به من ممارسات يومية في الدار وفي الشارع وفي المصنع.. .

وقد تتجلى هذه المواقف الثقافية و السلوكية أيضا في نمط علاقته مع أبناءه و عائلته والتي يريدها أن تكون شرقية في ثقافتها محافظة ومحتفظة بمظاهرها الثقافية و التي تضمن لها حسب رأيه الأمان و الأمن و السلامة السلوكية ، و تصونها من هواجس ثقافة الآخر والتي يرى فيها خطرا قد يهدد هوية الانتماء الثقافي و الحضاري و العقائدي لكل العائلة وفي كثير من الأحيان قد تعيش صراعا كبيرا بين الآباء المهاجرين و أبنائهم الذين ولدوا و شبوا_في المهجر_.و يتمثل هذا الصراع في محاولة هؤلاء الآباء تربية أبناءهم وفق التقاليد العربية الإسلامية,فيطلبون منهم التحدث بالعربية في المنزل و الصلاة و حفظ الآيات القرآنية و احترام رأى الأب بصورة تامة و عدم مصادقة الفتيات و عدم شرب الخمر و عدم مرافقة الفتيات.أما الابن فانه يشعر عن طريق المدرسة ... و عن طريق التلفزيون ..,ويحاول التمسك بالتقاليد

...التي منها حرية الشباب في مصادقة الفتيات وتنظيم حفلات الرقص و الشعور بشخصية مستقلة عن الأب. و هكذا يتولد نوع من الصراع بين الآباء و الأبناء "10"

قد تتجلى السلوكيات الثقافية للإنسان العربي المهاجر من حيث الوجود و التفاعلية مع عائلته و أبنائه من خلال تفاعل الأقطاب التالية:

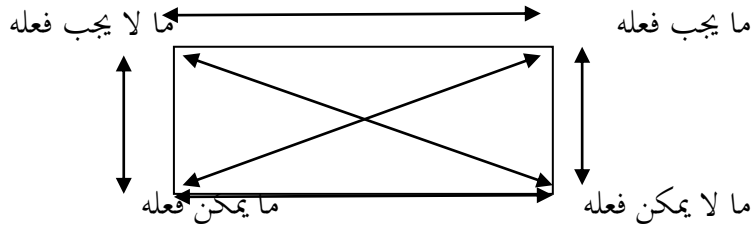

فهو مطالب ببعض السلوكيات الثقافية من أجل ضمان هوية الانتماء الثقافي والعقائدي و الاجتماعي، فهو محمل بقيم ثقافية أصيلة و أصلية، ولد في أحضانها و تربى وترعرع في ثناياها ، سافر إلى الخارج مهاجرا ومغتربا متمسكا بها... فواجب عليه ممارستها وحمايتها وبالتالي لا يجب عليه التنكر لها أو إهمالها وتعويضها بمظاهر ثقافية أخرى.

كما انه ، قد لا يقوم بكل الممارسات الثقافية التي يمارسها الأوروبيون وبالتالي فهو بإمكانه أن لا يقوم بها، وهذا قد لا يؤثر في سلامة ثقافته من جهة ، وقد لا يؤثر أيضا في سلامة بقائه في محيط الآخر.

كما أنه قد يقوم ببعض الممارسات الثقافية وبإمكانه القيام بها دون أن تلحق أي أثر سلبي في ثقافته الأصلية. ومن هذا المنطلق, فإن الفعل الثقافي لدى الإنسان العربي المهاجر، يتعدى المستوى السطحي ، البائن والظاهر ، فهو فعل عميق ومرتبط ارتباطا عضويا بشخصيته المزدوجة والتي بطريقة شعورية أو لا شعورية تعيش اللحظتين والنظامين والفضاء ين والثقافتين :

ولعل ما يمكن استنتاجه من هذه الجدلية للمشهد الثقافي للإنسان العربي المهاجر، هو أن القضية الثقافية تبقى أكبر وأكثر عمقا في التكوين الفكري و الثقافي و الاجتماعي والاقتصادي و السياسي والعقائدي لهذا الإنسان الذي يعيش الثقافتين في الزمن الواحد وفي المكان الواحد و في المنظومة الواحدة، وقد يحاول من حين إلى آخر تغليب ثقافة على الأخرى ولكن هذه الغلبة التي يريدها لا تتعدى الزمن الضيق و المحدود، وقد تكون مقترنة بمناسبة ما، وقد تنتهي هذه الغلابة بنهاية المناسبة وزمنها، كما أنه قد يعيش بعض لحظات وفق مبدأ التأجيل الثقافي، حيث يعمل جاهدا من أجل تأجيل فاعلية بعض العناصر الثقافية ويجمدها إلى وقت لاحق، فقد يجعل منها عناصر يمكن تحميلها وظيفة المراقبة التي تضغط عليه كمنبه عند كل مرة مارس فيها مظهر ثقافي من ثقافة الآخر والذي قد لا يتماشى ولا ينسجم مع ثقافته الأصلية .

تترجم هذه الجدلية واقعا ثقافيا منكسرا و جريحا، وإن هو أراد أن يعلن تحوله من نظام إلى نظام آخر، فيبقى في اعتقادنا تحولا عقيما ولا ينتج إلا انكسارات نفسية قد تصيب الجسد الثقافي للإنسان العربي المهاجر بالشلل والغربة و الضياع. وقد يعتقد أن العودة إلى الوطن هي السبيل الوحيد للعلاج أو الوقاية الثقافية مما أصيب به في الديار الغربة ، غير أن الأمر لم ولن يكون كذلك، حيث أنه يعود إلى

الوطن وإلى عائلته الكبيرة ولا يستطيع أن يمارس ثقافته الأصلية و التي تخلى عنها لمدة من الزمن، واختزنها في ذاكرته... هذه الذاكرة التي سكنتها عناصر ثقافية من زمن الهجرة وثقافة الهجرة ونظام الهجرة ، و التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من شخصيته ومن هويته الجديدة، فهو لم يعد شرقيا خالصا، ولا غربيا صحيحا وكاملا، بل هو مهاجر ، وثقافته هي ثقافة المهاجر تجمع بين الأنا والآخر، هنا و هناك، الشرق و الغرب، وقد لا نفهم هذا المعنى ولا ندرك كنهه إلا إذا نحن سمحنا لأنفسنا إعادة قراءة وتحليل المشهد الثقافي للإنسان العربي المهاجر تحت المجهر المعرفي والمنهجي والموضوعاتي لظاهرة المثاقفة والتي تعني التثاقف Acculturation، أي أن تحتك ثقافات الشعوب وتتعايش فيما بينها من دون احتواء الواحدة للآخر، ويقسم د. عز الدين المناصرة[11] المثاقفة إلى قسمين: الطبيعة والقهرية أو كما يقول : أ.د سالم المعوش[12]: المثاقفة اليقينية والمثاقفة اللايقينية .

إن التفاعل الثقافي و النفسي و الاجتماعي و العقائدي للإنسان المهاجر يتموقع بين مبدأ الإحياء و الإحياء المضاد:

فلإحياء يقوم بتفعيله في ديار الغربة حيث يسعى بدون هوادة إلى إحياء كل ما له علاقة بالأصالة و بالوطن و بالثقافة الأصلية و قد تجسد ذلك في الصور و اللوحات الزيتية و الأواني و الافرشة و الهدايا التي يريدها امتدادا ثقافيا و اجتماعيا وسياسيا و فنيا وعقائديا لانتمائه ولهويته الأصلية و الأصيلة هناك في ارض الغربة وفي المهجر.فهو يسعى جاهدا إلى تفعيل هذه العناصر في فضاءه الثقافي و الاجتماعي و العقائدي و الفني جاعلا منها القوة المنبهة له و الحامية من الانزلاق الممكنة نحو ثقافة الأخر.وكأنه يريد أن يطمئن نفسه وأهله انه متمسك بهويته و أصالته في التعامل الرمزي مع هذه العناصر الرمزية و الافتراضية و التي يريدها عناصر أساسية و ثابتة و بنيوية لهويته و لانتمائه الثقافي والحضاري والاجتماعي والعقائدي.

ويعود إلى ارض الوطن و لم يستطع التحرر من الزوائد الثقافية التي التصقت بكيانه هناك, و بطريقة شعورية أو لاشعورية لما يصطدم بواقع أهله و بلده المتدهور و الفقير و المتخلف مقارنة مع الواقع الأخر المتقدم و المتطور و الذي تركه هناك, فيصاب بحالة من الثورة المضادة و الإحياء المضاد.يعود إلى ارض الوطن و بدون ادني شك فهو قد اقتصد في ارض الغربة بعض من الأموال فيسعى إلى استثمارها ليبرر

سبب غربته أمام عائلته .ولعل أول مظهر يسعى إلى إبرازه يتمثل في اقتناء سيارة فلا بد أن يكون قد اشترى سيارة و عاد بها إلى ارض الوطن ,كما جرت العادة مع أغلبية المهاجرين , حيث أن اقتناء السيارة قيمة ثابتة في العرف. وتبدأ ثقافة المفارقة والاختلاف عن أبناء عائلته المحليين كما تبدأ مع هذا المظهر الثنائية الجديدة بينه وبين أفراد عائلته. ثم يشرع في بناء دارا جديدة وفق مقاييس بنائية غربية مختلفة عن النموذج الهندسي المحلي من حيث الشكل و توزيع البيوت و عددها والطلاء والأبواب وكثرة النوافذ والزخرفة فهو يريدها امتدادا للنموذج الغربي, مخالفا للنموذج المحلي و الذي ربما تم بناءه بدون مهندس و بدون دراسة .فهو يريد أن يبين لأهله انه متحضر ومتطور مقارنة مع أبناء عائلته المختلفين عنه من حيث المظاهر الثقافية و التي يسعى إلى تفعيلها أمامهم . نشير إلى مظهر اللباس ومظهر اللغة و مظهر الفن و كلها مظاهر من ثقافة الأخر و التي لم يكن ليعمل بها هناك . فهو عاد إلى ارض الوطن والى العائلة الكبيرة وفي نيته انه سوف يعمل من اجل إحياء الموروث الثقافي الذي اختزنه هناك ,أيام الغربة, و لم يستطع العمل به و قد تم تأجيله . يعيش بعض من وقت عطلته وفق الثنائية :

الذات # المظهر:l'être‡ le paraitre

غير أن ثقافة المظهر لا تعمر طويلا حيث سرعان ما تكشف عن هشاشة بنياتها المستوردة و المصطنعة ,وأيضا عن ضعف شخصية صاحبها الذي يظهر عن حقيقته النفسية وعن ثقافته التي افتقدت الأصول و المقومات المعنوية و السلوكية.فيسعى إلى تبني ثقافة الاستعلاء و الاكبرية .وهو أمر قد يسقطه من جديد في ثقافة نكران الأنا ونكران الأخر القريب و الأهل.ولعل ما يمكن الإشارة إليه, أنه في هذه اللحظة بالذات من حياة المهاجر في ارض وطنه وهو يعيش تلك الاكبرية و ذلك الاستعلاء فانه فقد في المخيال أهله وأقاربه و جيرانه حتى اسمه ليصبح يدعى بكل بساطة بالمهاجر فقطL'émigré وكل ما يتعلق به ينسب إليه حسب التسمية الرمزية التي صنعها له الأهل و الجيران:دار المهاجر:

maison de l'émigré وابن المهاجر: le fils de l'émigré و سيارة المهاجر: la voiture de l'émigréالخ...إن الأمر نفسه يعيشه في ارض المهجر مع جيرانه الغربيين, و مع زملائه في المصنع, حيث كاد أن يفقد اسمه ليصبح بكل بساطة يدعى بالعربيl'arabe أو يشار إليه وفق

جنسيته بالجزائريl'algérien أو المغربيle marocain أو التونسي le tunisien الخ ... إن الإنسان العربي المهاجر فقد اسمه في أوروبا كما فقده في وطنه...

و يبدأ حنينه إلى الفضاء الأخر مشيدا بقيمه الثقافية و الاجتماعية و الفكرية الجيدة والجميلة .وهنا يشتد حنينه إلى العودة, بل الهروب وبسرعة إلى هناك حيث الرفاهية و أشياء أخرى تعود عليها في المهجر و لم يجدها في وطنه الأصلي, ويبقى يعيش حياته ذهابا و إيابا ضائعا تائها باحثا عن الزمن المفقود .فان هو استقر في ارض الغربة, يعتقد أن هذا الزمن أصلا هو في الوطن الأصلي . و أن هو استقر في الوطن الأصلي, يعتقد أن هذا الزمن هو أصلا في ارض الغربة...

جدلية الأنا والآخر بين الآباء و الأبناء:

إن ثقافة الإحياء و الإحياء المضاد و جاذبية الأصالة و المعاصرة و البحث عن الزمن الضائع, تقل قوتها و تنخفض وتيرتها عند أبناء الإنسان المهاجر و عند الأحفاد, حيث كل ما ابتعدنا عن الأصول و عن العائلة الكبيرة كلما تغيرت الثقافة و كلما تغير منطق الحياة في فكر ثقافة الأجيال المهاجرة الذين يعيشون ثقافة جديدة و التي هي ليست ثقافة الآباء و ليست ثقافة بلد المهجر الأصلية ,فهي ثقافتهم' أي ثقافة الجيل الثالث و الرابع...

وفي هذا الصدد, لم يعد الحديث عن جدلية الأنا والأخر بنفس الوتيرة و بنفس الحمولة الثقافية و الحضارية والرمزية التي عرفها جيل الآباء, فقد تنخفض هذا الجدلية من جيل إلى جيل, من جيل الآباء إلى جيل الأبناء, إلى جيل الأحفاد إلى درجة لم يعد لها حضور, وذلك نتيجة التركيبة الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية, وكذا التحولات الفكرية والإيديولوجية التي تختلف عن تلك التي عاشها الآباء، وقد أنتج هذا الوضع الجديد عددا من التحولات مست التركيبة العائلية و كل ما يدور في فلكها من حيث الزواج والاستهلاك والترفيه والتربية والسكن والعلاقات...

فمن حيث المقاربة السميولوجية الاجتماعية"13" فان جدلية الأنا والأخر قد تقل وتيرتها كلما ابتعدنا عن الدائرة المركزية التي يمثلها الإباء ، أي الجيل الأول من المهاجرين،ويتواصل ضعف وتيرتها إلى أن تختفي نهائيا إلى درجة لم يعد لهذه الجدلية أي مكان في المخيال الثقافي للأجيال المتعاقبة. وقد تتجلى هذه

التحولات عبر حقول دلالية رسمت معالمها بعض المحطات الاجتماعية و الثقافية و النفسية و الاقتصادية والحضارية:

إن هذه التحولات ارتبطت أصلا بظاهرة الزواج المختلط mariage mixte الذي بدا قليلا ليصبح قيمة ثابتة عند الأجيال المتعاقبة. فإذا كان جيل الآباء يصر على الزواج الداخلي mariage endogameضمن منطق القرابة parenté في كل أشكالها و صياغاتها الدموية أو الوطنية أو القومية أو العقائدية,فلقد كان الآباء حريصين على تزويج أبنائهم ذكورا أو إناثا حتى في ديار الغربة مع ابنة أو ابن العم, أو ابنة أو ابن المدينة الأصلية في الوطن, أو ابنة و ابن الوطن بصفة عامة ,أو ابنة و ابن العروبة أي من أي وطن عربي أخر جمعتهم بهم الغربة, أو مع ابنة و ابن العقيدة الإسلامية في ديار الغربة ...غير أن جيل الأبناء و الأحفاد قد تحرروا من عقدة الزواج الداخلي و فضلوا الزواج الخارجي mariage exogame و عقدوا القران بصورة عادية و طبيعية مع الأخر الغربي سواء أن كان ذكورا أو إناثا. و تواصلت العملية مع الأجيال المتعاقبة من الأبناء و الأحفاد إلى درجة الحصول على جيل جديد بعيد عن جيل الآباء, جيل المركز بأجيال تعدت الثلاثة وأكثر.وقد أدى تعاقب الأجيال و ابتعادها عن جيل المركز ظهور أبناء لا تربطهم أي علاقة دموية أو اجتماعية وثقافية بالمركز...

وقد تتجلى بعض من هذه التحولات في النظام الداخلي للأسرة التي لم تعد فيها للأب تلك السلطة المطلقة و السيادة الكاملة في تسيير شؤون العائلة ماديا و معنويا و سلوكيا، فان النظام العائلي عند الأبناء و الأحفاد خضع لتحولات نتيجة دخول العنصر الأخر سواء أكان ذكرا أو أنثى في التركيبة العائلية ليفرض ثقافته بحكم الانتماء إلى ثقافة ترفض تفرد بالسلطة الأبوية .إن الطرف الجديد ساهم بإبعاد الجيل العربي عن ثقافة المركز.كما أصبحت سلطة العائلية متساوية و في كثير من الأحيان كانت للمرأة الغلبة أكثر من الرجل...غير أن هذا لا يعني أبدا أن هذه العائلة هي عائلة ناموسيةMatriarcatبالمقابل للعائلة الابوسيةPatriarcat والتي عرفتها مجموعة من المجتمعات البدائية و التقليدية القديمة.و التي هي أصلا خاضعة للنظام الاموسي و الذي يدل على تنظيم اجتماعي مبني على النسب الاموسي الخط (الأم الرمزية الأولى). إن الحديث عن دور المرأة في المجتمعات الغربية و التي اقتحمها الأجيال المهاجرة يعد أمرا عاديا و طبيعيا في هذه المجتمعات التي عرفت تركيبتها الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية

تحولات كبيرة أكسبت المرأة حقوقا و واجبات و مؤهلات مادية و معنوية و سلوكية لا تقل أهمية عن تلك التي يتمتع بها الرجل .إضافة إلى كل هذا ،يكشف العرف الاجتماعي الغربي أن المرأة أكثر فعالية و أكثر قدرة على تسيير شؤون العائلة.و قد صاحب هذا التحول تحول أخر مس البناء المرفولوجي للعائلة و التي تحولت من عائلة ممتدةFamille étendue و التي كان يريدها الآباء بحيث كانوا دائما يسعون إلى عيش كل أفراد العائلة تحت السقف الواحد و تحت سلطة ووصاية الأب الواحد أيضا على الرغم من كثرة عددهم. وفي الاعتقاد الأبوي آن هذا النظام يضمن للعائلة بصفة عامة الأمن و الاستقرار و القوة و التعاون و التآزر. و قد تحولت العائلة عند جيل الأبناء إلى عائلة نووية Famille nucléaire أي عائلة صغيرة تماشيا و النمط الثقافي و الاجتماعي الغربي.و هذا النمط من العائلات كان لا يتعدى عدد أفرادها الزوجين و أطفالهما ،و عادة لا يتعدى عدد الأطفال الاثنين أو الثلاثة تحت سقف واحد و مستقل عن العائلة الكبيرة.

ومن مظاهر التحولات الثقافية و الاجتماعية التي أصابت جسد تلك الجدلية التي أثقلت بحمولتها فكر و نفسية الإنسان العربي المهاجر, هي تلك التي اقترنت بالحالة المدنية للأجيال و للأحفاد المتعاقبة و المتمثلة في عملية اختيار أسماء لأبنائهم. لقد مرت هذه العملية بمحطات مختلفة.لقد بدء جيل الأبناء في اختيار الأسماء التي لا تثير مشاكل صوتية من حيث النطق الغربي و التي تخلو من الأصوات العربية الصعبة .و قد تحرر الأبناء_الآباء الجدد من البحث عن الأسماء من المرجعية العائلية الكبيرة أو المرجعية الوطنية أو العربية أو القومية أو العقائدية. كما كان يفعل جيل الآباء حفاظا على هوية الانتماء. فان الجيل الجديد يسعى إلى تفعيل فكر مخالف بل يكاد أن يكون أصلا مضادا لكل ما له صلة بهذه المرجعية.وقد يواصل جيل الأبناء و الأحفاد في استثمار الحالة المدنية من اجل إعلان ابتعاده عن المركز و ربما إعلان عن القطيعة. فيصل إلى المرحلة الثانية, فيضيف لاسم ابنه اسما غربيا ,فيحمل الطفل اسمين :واحد عربي، أي لاستغلال داخل العائلة الكبيرة التي لازال رابط القرابي يحافظ على شيء من حويته ،ولكن بصورة محدودة و ضعيفة, مقارنة مع الاسم الثاني الذي يحمله الطفل, وهو اسم غربي موجه و مستغل في خارج فضاء الدار، أي في المدرسة وفي الشارع وبصفة عامة في المجتمع.وتنقطع مباشرة العلاقة مع المركز في هذه الحالة حين يختار للطفل اسم واحد غربي ليست له أية علاقة مع مرجعيات المركز، و في هذا الصدد تختفي مباشرة و إلى

الأبد تلك الجدلية التي ظل الإنسان العربي يعاني من حمولتها الثقافية و الاجتماعية والنفسية و العقائدية و الحضارية...

إن المشهد الثقافي و النفسي و الاجتماعي الجديد و الذي أرسى عناصره الجديدة الجيل الثاني و الثالث و الرابع من أبناء المهاجرين زاد من توتر تلك الجدلية التي أرقت كاهل الجيل الأول والذي عاش مدة من الزمن وهو يصارع و يتصارع مع الأخر الغريب الغربي والأجنبي.

فسوف يدخل حلبة الصراع جيل الأبناء ليدعم الطرف الأخر الذي هو أصلا معاديا لطرف الآباء. إن جيل الأبناء ولد أصلا من رحم الأنا ليصبح مخالفا له بل مختلفا عنه و قد يصل إلى مستوى العداوة أي الابن أو البنت تنكر أباها أو تقتله ثقافيا. و من هذا المنطلق" فلأخر ليس بالضرورة البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس الدائم,إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها و يحارب بعضها البعض الأخر" 14."

فقد يتسع الفضاء الثقافي و النفسي و الاجتماعي و حتى البشري لتلك الجدلية التقليدية و الثقيلة, و التي, إضافة إلى عناصرها البنيوية التقليدية أضيفت لها عناصر من رحم الأنا. والتي تشهد على ولادتها عربية من حيث النشأة ومن حيث الثقافة ومن حيث التربية لتنتهي غربية من حيث الانصهار الثقافي و الذوبان دون جدل أو مقاومة أو صراع.و من هذا المنطلق تطرح من جديد مساءلة الهوية و التي يراها جيل الأبناء خلافا لجيل الآباء. فهوية جيل الأبناء تبدأ منفصلة عن هوية جيل الآباء و تنمو وتتطور إلى أن تصل إلى درجة معادية لهوية الآباء بل في أحيان كثيرة متصارعة معها .

و من اجل إبراز المسار الثقافي و النفسي و الاجتماعي للهويات المتصارعة سواء المنحدرة من أصل واحد أو من أصول مختلفة نستعير من نظرية المجموعات في العلوم الرياضية بعض ما يترجم التفاعل الاتصالي أو الانفصالي لمجموعات البشرية المشكلة للمشهد هذه الجدلية التي بدأت ثقافيا لتنتهي بيولوجيا و فكريا و اجتماعيا بل و حتى عقائديا, حيث تتحصل على البيان و القواعد المنظمة للمجموعات التالية:

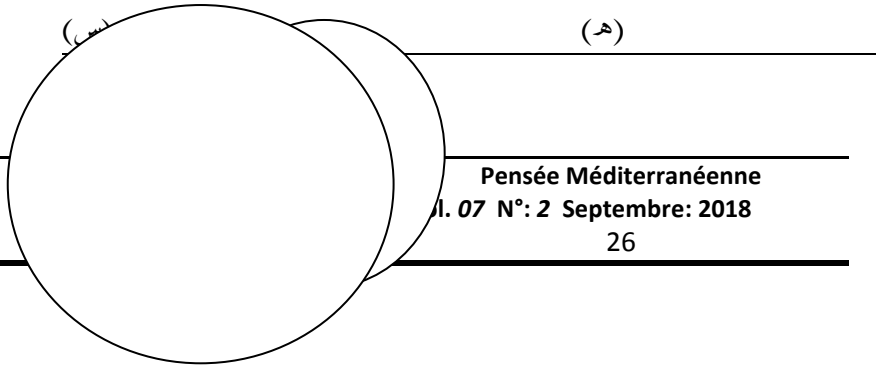

المجموعة(س) تمثل جيل الآباء:

المجموعة (هـ) تمثل جيل الأبناء:

فالمجموعة(هـ) ولدت و تربت في أحضان المجموعة(س). من حيث التكوين البيولوجي و الثقافي و النفسي و العقائدي...

المجموعة (هـ) تسعى إلى الانفصال عن المجموعة (س) لتلتحق

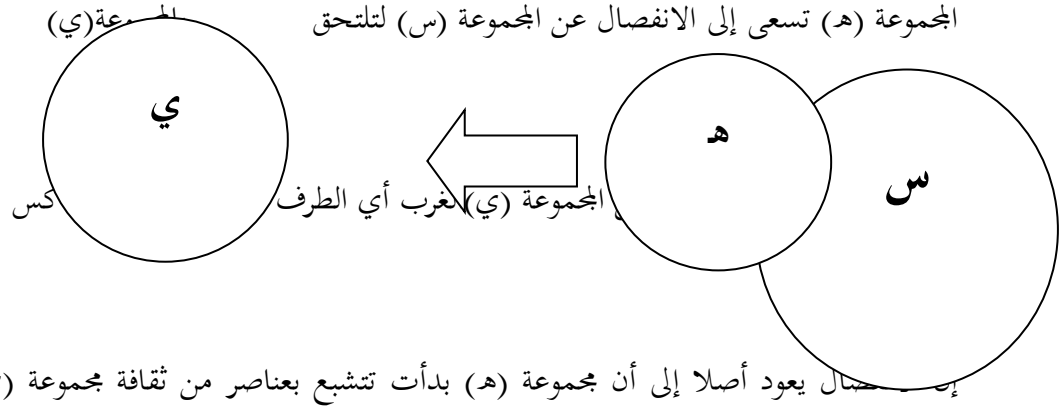

المجموعة (ي) لغرب أي الطرف كس

إن انفصال يعود أصلا إلى أن مجموعة (هـ) بدأت تتشبع بعناصر من ثقافة مجموعة (ي) و التي هي أصلا غربية و تتنصل تدريجيا من عناصر ثقافة مجموعة(س)

(س) (ي)

(هـ)

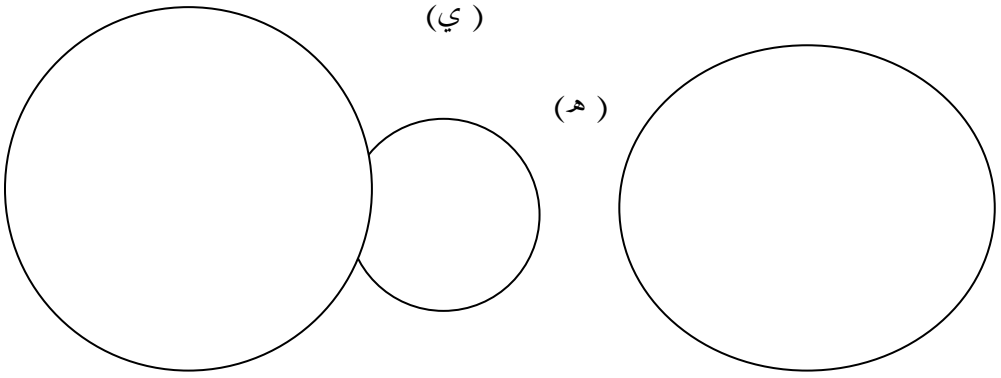

المجموعة (هـ) انفصلت عن المجموعة (س) لتلتحق بالمجموعة (ي)

(س) (ي)+(هـ)

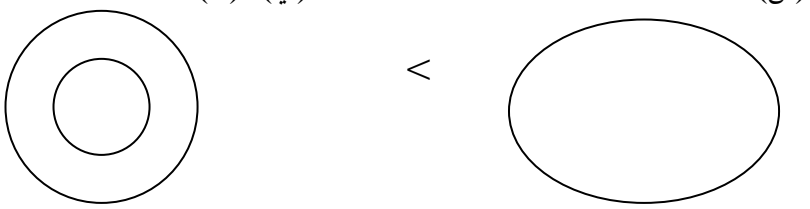

المجموعة (هـ) اقتحمت المجموعة (ي) و انفصلت نهائيا عن المجموعة (س)

(س) _ (هـ)+(ي)

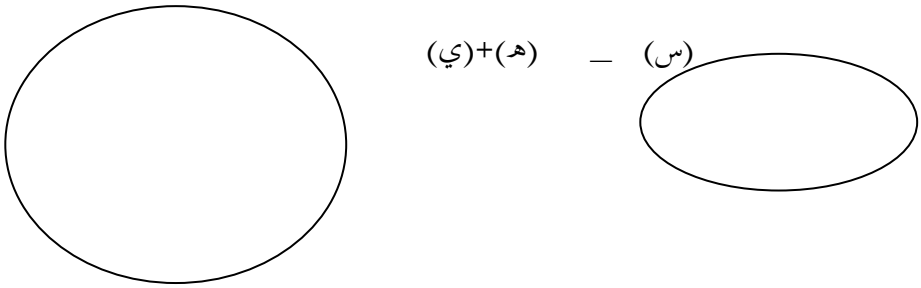

المجموعة (هـ) ذابت في المجموعة (ي) و التي تقوت بعناصر جديدة من المجموعة (ي).ومن هذا المنطلق لم تعد مجموعة (هـ) تتحدث عن الهوية بنفس منطق مجموعة (س) بل أصبح حديثها عن الهوية و الذاكرة و التاريخ و العادات و التقاليد ينهل مرجعيته من ثقافة المجموعة (ي), و بالتالي فان هذه المجموعة مرشحة بحكم الثقافة الجديدة و بحكم هوية الانتماء الغربي التي احتضنتها مدعمة في ذلك بقوة العناصر الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية والفنية و العلمية والبيداغوجية التي احتضنتها وتربت في رحابها منقطعة عن ثقافة جيل الآباء.

حيث المعادلات الرياضية التالية:

الحالة الابتدائية :المرحلة الأولى.

م(س)$\cup$م(هـ)$\cap$م(ي) :إن المجموعة(هـ) تعيش متصلة اتصالا عضويا مع المجموعة(س) من حيث التفاعل الثقافي ومنفصلة عن المجموعة(ي).

مرحلة التحولات:مرحلة بداية التحولات التدريجية الأولى:

م(س)$\geq$م(هـ)$>$م(ي)

تظهر المجموعة(هـ) اكبر أو تساوي المجموعة (س) من حيث المعرفة بثقافة مجموعة (ي) والتي في نفس الوقت اكبر من مجموعة (هـ) من حيث الثقافة الغربية والتي هي أصلا ثقافتها,

مرحلة التحولات الوسطى:

م(س)⋂م(هـ)≤م(ي)

تنفصل المجموعة(هـ) عن المجموعة الأم (س) من حيث التفاعل الثقافي و الاجتماعي لتعيش اقل و قريبة أو تكاد تساوي من حيث التفاعل الثقافي بالمجموعة (ي) ,

مرحلة التحولات الكبرى:

م(س)⋂م(هـ)⋃ م(ي)

تعلن المجموعة (هـ) انفصالها عن المجموعة (س) نهائيا لتتصل مباشرة بالمجموعة (ي) من حيث التفاعل الثقافي و الاجتماعي،

المرحلة النهائية:

م(س)⋂م(هـ)+م(ي)=م(س)⋂م(هـ-ي)

تتحول المجموعة (هـ) نهائيا إلى مجموعة (ي) ,فتذوب فيها لتصبح جزءا لا يتجزأ منها ,هذا من جهة و من جهة أخرى، لتصبح طرفا قويا و مضادا لمجموعة (س) ،أي المجموعة الأم التي انحدرت منها ذات يوم و التي كانت سببا في وجودها ,و التي وهبتها الحياة المادية و المعنوية والسلوكية و التاريخية والحضارية و العقائدية الأصلية قبل أن تنفصل عنها و تتنكر لها .

الخاتمة:

ومن هذا المنطلق تحولت جدلية الأنا والأخر التي تأسست وفق إيقاعها ثقافة الإنسان العربي في المهجر من فكر صراعي تصارعي ،ومن فكر جدلي صاخب وعنيف ، ومن فكر صامد ومقاوم من اجل صيانة الذات الثقافية والفكرية والحضارية والعقائدية، ومن فكر قلق ومصاب بهاجس الهوية عند الجيل الأول ،أي جيل الآباء ،جيل المركز، إلى جدلية محاربة ومضادة لثقافة الجيل الأول ،جيل الآباء ،متبنية ثقافة الأخر كمركز جديد ومرجع ثابت لا يقبل المناقشة أو التنازل.ومن هذا المنطلق تذوب الأجيال

المنحدرة من الأجيال المغتربة في ثقافة الأخر و إلى الأبد بحيث لم يعد يربطها أي رباط بثقافة الآباء والأجداد ...

الإحالات :

1-الدراسات التي اهتمت بموضوع الهجرة عديدة نذكر منها ما يلي :

* Ouvrage Collectif: L'émigration maghrébine en Europe .
Exploitation ou coopération Ed . Centre de recherche en économie appliquée
*A. Rosanvallon: Les aspects économiques de l'émigration algérienne.
Ed. Université des sciences Grenoble 1974.
*Simon Gildas: L'espace des travailleurs tunisiens en France .
Poitiers 1979.
Abdelmalek Sayad : L'immigration ;ou les paradoxes de l'altérité ;Ed .De Boeck Université ;1992
Un Nanterre algérien ;terre des bidonvilles(avec Eliane Dupuy),Autrement,1998
La double absence. Des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré .Ed .Seuil ;Paris .Coll. « Liber »

2-الدراسات الأدبية وخاصة الإبداعية منها و التي شكلت الهجرة موضوعا خصبا لها، نذكر ما يلي :

*عصفور من الشرق : توفيق الحكيم .
*زهرة العمر: توفيق الحكيم .
*موسم الهجرة إلى الشمال: طيب صالح .
*نادية: يوسف السباعي .
*الأشجار واغتيال مرزوق: عبد الرحمن منيف .
*الإقلاع عكس الزمن: إميلي نصر الله .
*الأديب: طه حسين .

3-لقد استمدت هذه الدراسة بعض من لغتها ومنهجيتها من عدد من الدراسات السيميائية والمقاربات البنيوية مثل :

A.J. Greimas .

* Sémantique structurale . Ed Larousse – Paris 1966.
*Du sens . Ed Seuil – Paris 1970.
*Maupassant , la sémiotique du texte . Exercices pratiques.
Ed. Seuil – Paris 1975.

4-استعملنا مصطلح الفاعل ترجمة للمصطلح Actant حيث أن مصطلح:

الفاعل الذات = Actant sujet

الفاعل الموضوع = Actant objet

الفاعل المرسل = Actant destinateur

الفاعل المرسل إليه = Actant destinataire

الفاعل المساعد = Actant adjuvant

الفاعل المعاكس = Actant opposant

الرسم الفاعلي = Actant actantiel

5- د. سامية حسن الساعاتي: الثقافة و الشخصية . بحث في علم الاجتماع الثقافي . دار النهضة العربية – بيروت- 1983- ص 35 .

6_د.عاطف وصفي:الأنثروبولوجيا الثقافية_مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة دير بون الأمريكية_دار النهضة العربية للطباعة و النشر_بيروت 1971 ص,

7_م.ن.ص.379

8-أ.د سالم المعوش: الأدب وحوار الحضارات . المنهج والمصطلح والنماذج . دار النهضة العربية – ط1- بيروت، 2007، ص

9-م. ن : ص 175.

10_عاطف وصفي:م.س.ص.348

11-أ.د عز الدين للمناصرة: المثاقفة والنقد المقارن. منظور إشكالي . المؤسسات العربية للدراسات والنشر – بيروت ودار الفارس للنشر والتوزيع – عمان 1996، ص 9 .

12-أ.د سالم المعوش: م. س. ص 135.

13 A.J.Greimas :Sémiotique et sciences sociales Aux Editions du Seuil Paris _1976

14_حيدر إبراهيم حيدر:صورة الآخر المختلفة فكريا_سوسيولوجيا الاختلاف و التعصب_في مجلة النقد للدراسات و النقد الاجتماعي العدد رقم 10 الجزائر.